من أخلاق الأنبياء عليهم السلام [٤]

الجمعة ٤/ ٣/ ١٤٢٨هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

تَقَدَّمَ كَلَامٌ عَنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَاسْتِكْمَالًا لِلْحَدِيثِ يُقَالُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: تَحَمُّلُ أَسْئِلَةِ النَّاسِ لِنَفْعِهِمْ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَرَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ إِنْ كَانُوا غَيْرَ مُسْلِمِينَ، وَأَيْضًا لِدَحْضِ حُجَجِهِمْ الَّتِي تَشَبَّثُوا بِهَا عَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا القُرْآنُ خَبَرَ تِلْكَ الأَسْئِلَةِ الكَثِيرَةِ؛ فَفِي شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ

أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٦١].

وَلَقَدْ تَحَمَّلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْئِلَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ تَكَلُّفِهِمْ فِي تِلْكَ الأَسْئِلَةِ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَى صِدْقِهِ وَمَعَ ذَلِكَ تَحَمَّلَ طَلَبَهُمْ وَآتَاهُ اللهُ آيَةً وَلَكِنَّهُمُ اسْتَكْبَرُوا وَقَالُوا: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ

بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤-١٥٧].

وَأَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٤].

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ كَانَ أَرْحَبَ النَّاسِ صَدْرًا فِي إِجَابَتِهِ عَلَى الأَسْئِلَةِ تَعْلِيمًا وَتَثْبِيتًا لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَى مَنْ أَبَى وَعَانَدَ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء: ١٥٣].

وَقَدْ سَأَلَتْهُ يَهُودُ أَسْئِلَةً كَثِيرَةً فَكَانَ ﷺ رَحْبَ الصَّدْرِ حَلِيمًا؛ إِنْ أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ بِالجَوَابِ أَجَابَ، وَإِنْ أَوْحَى لَهُ بِالإِمْسَاكِ عَنِ الجَوَابِ أَمْسَكَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّهُمْ أَوْرَعُ النَّاسِ وَأَحْذَرُهُمْ مِنَ القَوْلِ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ.

فَهَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ نَجَاةَ ابْنِهِ ثُمَّ تَبَيَّنَ خَطَؤُهُ سَارَعَ بِرُجُوعِهِ لَمَّا عَاتَبَهُ رَبُّهُ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

وَهَذَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا سَأَلَهُ رَبُّهُ وَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ...﴾ [المائدة: ١١٦].

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ أَدَّبَهُ رَبُّهُ كَمَا أَدَّبَ إِخْوَانَهُ الأَنْبِيَاءَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّهُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ ضِيَافَةً لِلضَّيْفِ

وَحِفْظًا لِمَقَامِ الضِّيَافَةِ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الآيَاتُ أَعْظَمَ آدَابِ الضِّيَافَةِ وَالكَرَمِ، وَقَدْ قَامَ بِهَا جَمِيعًا الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ ضُيُوفَهُ أَتَوْهُ فَجْأَةً وَكَانَ جَوَابُهُ عَلَى سَلَامِهِمْ أَبْلَغَ، ثُمَّ سَارَعَ بِتَجْهِيزِ طَعَامِ أَضْيَافِهِ، وَمِنْ عَظِيمِ كَرَمِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَنِ اخْتَارَ لَهُمْ أَطْيَبَ الطَّعَامِ عَلَى أَطْيَبِ هَيْئَةٍ؛ فَجَاءَ لَهُمْ بِعِجْلٍ سَمِينٍ حَنِيذٍ، بَلْ وَمِنْ بَالِغِ كَرَمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الأَكْلَ، وَهَذَا غَايَةُ الإِكْرَامِ وَالتَّقْدِيرِ، بَلْ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْأَلْهُمْ عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ حَتَّى قَامَ بِتَحِيَّةِ ضِيَافَتِهِمْ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ

﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٧-٣٢].

فَلَمْ يَسْأَلْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا بَعْدَ ضِيَافَتِهِمْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ: مَا جَاءَ فِي شَأْنِ أَضْيَافِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٦٧-٧١]، ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

فَكَانَ لُوطٌ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ غَايَةً فِي إِكْرَامِ أَضْيَافِهِ وَحِفْظِهِمْ؛ فَقَدْ ذَكَّرَ قَوْمَهُ بِاللهِ تَعَالَى، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ زَارُوهُ أَضْيَافًا لَهُمْ حَقُّ الضِّيَافَةِ وَالإِكْرَامِ، وَطَلَبَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مِنْ قَوْمِهِ أَلَّا يُخْزُوهُ فِي أَضْيَافِهِ، وَلَمَّا كَانَ مُرَادُهُمُ الفَاحِشَةَ ذَكَّرَهُمْ بِشَنِيعِ فِعْلِهِمْ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ بَنَاتِهِ بِالنِّكَاحِ الشَّرْعِيِّ فِي أَنْ يَتَزَوَّجُوهُنَّ زَوَاجًا شَرْعِيًّا يَكُفُّهُمْ عِنِ الخَوْضِ فِي الفَاحِشَةِ المُحَرَّمَةِ، وَتَصَدُّ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ هُوَ غَايَةُ الإِكْرَامِ وَالحِفْظِ لِمَقَامِ الضَّيْفِ وَحَقِّ الضِّيَافَةِ.

وَأَمَّا نَبِيُّنَا ﷺ فَقَدْ بَلَغَ إِكْرَامُهُ لِلضَّيْفِ أَنَّهُ يَبْدَأُ بِأَضْيَافِهِ قَبْلَ نَفْسِهِ وَلَوْ كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي الخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَأَى مَا فِي أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ مِنْ أَثَرِ الجُوعِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَلْتَحِفَ بِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ هَلْ مِنْ طَعَامٍ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ، فَأَمَرَ بِدَعْوَةِ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَلَمَّا حَضَرُوا أَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِأَنْ يَدُورَ بِالقَدَحِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا فَرَغُوا أَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِالشُّرْبِ، فَلَمَّا شَرِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَمِدَ النَّبِيُّ ﷺ اللهَ ثُمَّ شَرِبَ.

فَأَيُّ كَرَمٍ ـ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ـ بَعْدَ هَذَا؟

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّهُمْ أَرْحَمُ النَّاسِ بِالْمَدْعُوِّينَ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ، فَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِالْخَلْقِ، وَمِنْ بَالِغِ رَحْمَتِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ قَدْرَ جُهْدِهِمْ أَنْ يَدْفَعُوا عَنِ الْمَدْعُوِّينَ شَرَّ الْعُقُوبَةِ رَجَاءَ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ غَيِّهِمْ.

فَهَذَا نُوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ يَتَحَبَّبُ قَوْمَهُ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةً بِهِمْ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ، وَيُبَيِّنُ نُصْحَهُ لَهُمْ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وَبَيَّنَ خَوْفَهُ عَلَيْهِمْ: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَهَذَا هُودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ يَرْمِيهِ قَوْمُهُ بِالسَّفَهِ فَيَزِيدُ خَوْفُهُ عَلَيْهِمْ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦-٦٧].

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ نُصْحَهُ وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِمْ: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨]. وَقَدْ بَشَّرَهُمْ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا بِخَيْرَيِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢]. وَهَذَا مِنْ مَحْضِ نُصْحِهِ وَرِفْقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَصَالِحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ سَلَكَ مَسْلَكَ إِخْوَانِهِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَوَفَّقَ وَتَلَطَّفَ، ذَكَّرَ قَوْمَهُ بِنِعَمِ الله عَلَيْهِمْ، وَحَذَّرَهُمْ مَغَبَّةَ الكُفْرِ وَالعِنَادِ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

فَلَمَّا رَأَى إِعْرَاضَ قَوْمِهِ وَعِنَادَهُمْ حَقَّ عَلَيْهِمْ عَذَابُ الله فَلَمْ يَشْمَتْ بِهِمْ بَلْ ذَكَّرَهُمْ بِنُصْحِهِ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وَمِنْ ذَلِكَ رَحْمَةُ وَشَفَقَةُ الخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٤-٧٦].

فَانْظُرُوا ـ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ـ كَيْفَ أَنَّ الخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا جَاءَتْهُ البُشْرَى لَمْ تُنْسِهِ فَرْحَتُهَا قَوْمَ لُوطٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فِي إِنْظَارِهِمْ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ؟